المحاضرة الخامسة: النظريات النفسية

Psychological Theories

أولا مفاهيم أساسية:

California Psychological Inventory (**CPI**). A test designed to measure personality traits such as dominance, tolerance, and sociability.

Ego. One of the three components of Freudian personality development. The ego is referred to as the executive or rational part of the personality, and it acts to keep the id in check.

Electra Complex. This occurs at the beginning of the phallic stage (around ages 3 to 6) in which a girl develops a desire to possess her father and a hatred and fear of her mother.

Freudian. This view of behavior focuses on early childhood development. It claims that criminal activity is the result of a conflict between the id, ego, and superego, which can be traced back to a conflict in early childhood.

Id. One of the three components of Freudian personality development. The **id** contains **basic** instincts and drives, such as the need for food, water, sex, and pleasure.

Oedipus Complex. This occurs at the beginning of the phallic stage (around ages 3 to 6) in which a boy develops a desire to possess his mother and a hatred and fear of his father.

Personality Theory. This theory believes that criminal activity is the result of a defective, deviant, or inadequate personality. Examples of deviant personality traits include hostility, impulsiveness, aggression, and sensation-seeking.

Psychoanalytic Theory. A general perspective stating that the causes of criminal behavior can be found in the mind of the individual.

Psychological Counseling. The process by which an underlying mental issue can be addressed. The assumptions are that only by treating an individual who has committed a criminal act as someone who is sick and in need of treatment can the problem truly be addressed; punishing the criminal act without addressing the root mental cause is of little or no value; and counseling is the only way in which the root mental cause can be dealt with adequately.

Superego. One of the three components of Freudian personality development. This part of the personality contains the conscience of the individual.

تقديم:

لمحة تاريخية عن التحليل النفسي والجريمة:

من خلال الخوض في التطور التاريخي للتحليل النفسي وعلم الجريمة، يُكشف لنا عن اسهامات عديدة شكلت أرضية خصبة لبروز التحليل النفسي. وبعيدًا عن كونها مجالات معزولة، فقد نمت هذه المجالات العلمية وتطورت جنبًا إلى جنب، وغالبًا ما كان لها تأثير عميق على بعضها البعض. مع مرور الوقت، ظهرت نظرية التحليل النفسي لتقدم رؤيتها حول تحليل السلوك الإجرامي. ولم تؤد مساهماتها إلى اكتشافات رائدة فحسب، بل أثارت أيضًا مناقشات وجدالات حادة، حول الروابط العميقة بين النفس البشرية وجذور السلوك الإجرامي.

ويمكن أن نقف على العلاقة بين علم النفس بمفهومه العام وبين السلوك الإجرامي كموضوع له انطلاقا من تعريف الأول و تحديد الثاني. فقد ذهب الأستاذ محمد فتحي إلى تعريف علم النفس بأنه: "العلم الذي يبحث في ملكات العقل ومظاهر التفكير و الظواهر النفسية المختلفة، الشعوري منها وغير الشعوري، وجمع وتحصيل ما نحصل عليه من معلومات عنها، سواء عن طريق **المشاهدة** أو **التجربة** أو **التحليل**، ورد هذه الظواهر إلى قوانين نفسية عامة يمكن استخدامها في الحياة العملية استخداما صالحا موفقا"

1- دور الهو والأنا والأنا العليا:

الهو :يمثل هذا المكون الأساسي دوافعنا الأساسية: الجوع والعطش والجنس والعدوان. إنه يسعى إلى الرضا الفوري دون النظر إلى الأخلاق أو عواقب الأفعال. في عالم الإجرام، قد تدفع الهوية غير المقيدة الشخص إلى ارتكاب أعمال متهورة أو عنيفة أو منحرفة من أجل الإشباع الفوري.

الأنا :باعتبارها "**الواقعية**" في النظام، غالبًا ما **تتوسط** الأنا بين رغبات الهو والقيود الأخلاقية للأنا العليا. ويهدف إلى **رفاهية** الفرد على المدى الطويل، ويسعى إلى إشباع رغبات الهوية بطريقة أكثر **قبولًا** اجتماعيًا. يمكن رؤية الأنشطة الإجرامية، مثل التخطيط الدقيق أو التلاعب، عندما تبرر الأنا أو تبرر السلوكيات لتحقيق رغبات الهو دون إثارة غضب الأنا العليا.

الأنا العليا :تتكون الأنا العليا من القانون الأخلاقي للفرد، وغالبًا ما تتعارض مع الهوية. يمكن للأنا العليا المتطورة أن تمنع الفرد من ارتكاب الجريمة بسبب مخاوف أخلاقية، في حين أن الأنا العليا المتخلفة قد توفر مقاومة قليلة لدوافع الهوية.

2- صدمة الطفولة وأثرها على السلوك الإجرامي:

افترض فرويد أن التجارب المبكرة تشكل شخصية الفرد وسلوكه. يمكن للأحداث المؤلمة، مثل سوء المعاملة أو الإهمال أو مشاهدة العنف، أن تعطل النمو النفسي الصحي. قد تؤدي مثل هذه الأحداث إلى صراعات داخلية لم يتم حلها، مما يجعل الفرد أكثر عرضة للعدوان أو الاندفاع أو السلوكيات الأخرى المرتبطة بالإجرام.

3- كيف يبرر العقل الجريمة؟

لإدارة القلق أو الشعور بالذنب أو الصراعات الداخلية، تستخدم الأنا آليات دفاعية مختلفة. وتشمل: **الإنكار** :رفض الاعتراف بحقيقة الموقف، **التنبؤ**: إسناد الصفات السلبية للآخرين.

التبرير :تبرير الأفعال غير الأخلاقية أو الضارة من خلال **الاستدلال المنطقي**.

في سياق الجريمة، قد يستخدم الشخص هذه الآليات للتعامل مع الشعور بالذنب أو الصراع الداخلي الناجم عن أفعاله، مما يمكنه من مواصلة سلوكه دون شعور بالذنب أو القلق.

4- عقدة أوديب والسلوك العدواني:

تشير عقدة أوديب في مقابل عقدة الكثرا:

إلى أنه بين سن 3 و 6 سنوات، قد يتطور لدى الطفل انجذاب جنسي غير واعي تجاه أحد الوالدين من الجنس الآخر. يمكن أن تؤدي المشاعر التي لم يتم حلها والعواطف المكبوتة في هذه المرحلة إلى عدوان كامن، وفي بعض الحالات، تظهر في سلوكيات عنيفة أو مهيمنة في علاقات البالغين.

5- غرائز الحياة وغرائز الموت:

تطورت نظرية سيغموند فرويد للمحركات طوال حياته وعمله. وصف في البداية فئة من محركات الأقراص تُعرف باسم غرائز الحياة واعتقد أن هذه المحركات كانت مسؤولة عن الكثير من سلوكنا.

في النهاية ، **توصل إلى الاعتقاد بأن غرائز الحياة وحدها لا تستطيع تفسير كل السلوك البشري**. مع نشر كتابه وراء مبدأ المتعة في عام 1920 ، خلص فرويد إلى **أن جميع الغرائز** تندرج في واحدة من فئتين رئيسيتين: غرائز الحياة أو غرائز الموت.

غرائز الحياة (إيروس)

يشار إليها أحيانًا بالغرائز الجنسية، وغرائز الحياة هي تلك التي تتعامل مع أساسيات **البقاء والسرور والإنجاب**. هذه الغرائز ضرورية للحفاظ على حياة الفرد وكذلك لاستمرار النوع

بينما نميل إلى التفكير في غرائز الحياة من منظور الإنجاب الجنسي، فإن هذه الدوافع تشمل أيضًا أشياء مثل العطش والجوع وتجنب الألم. تُعرف الطاقة الناتجة عن غرائز الحياة بالرغبة الجنسية.

في نظريته المبكرة في التحليل النفسي، اقترح فرويد أن **إيروس** عارضه قوى الأنا (الجزء المنظم والواقعي من نفسية الشخص الذي يتوسط بين الرغبات). في هذا الرأي اللاحق، أكد أن غرائز الحياة عارضتها غرائز الموت المدمرة للذات ، والمعروفة باسم **ثاناتوس**.

تشمل السلوكيات المرتبطة بشكل شائع بغرائز الحياة **الحب والتعاون** وغيرها من الإجراءات الاجتماعية الإيجابية. تركز غرائز الحياة على الحفاظ على الحياة، لكل من الفرد والنوع. يجبر هذا الدافع الناس على الانخراط في إجراءات تحافظ على حياتهم، مثل رعاية صحتهم وسلامتهم. كما أنها تمارس نفسها من خلال الدوافع الجنسية، وتحفز الناس على خلق ورعاية حياة جديدة.

ترتبط المشاعر الإيجابية مثل الحب والعاطفة والإجراءات الاجتماعية **والتعاون** الاجتماعي أيضًا بغرائز الحياة. تدعم هذه السلوكيات كلاً من **الرفاهية** الفردية والوجود المتناغم لمجتمع تعاوني وصحي.

غرائز الموت (ثاناتوس)

تم وصف مفهوم غرائز الموت في البداية في ما وراء مبدأ المتعة ، حيث اقترح فرويد أن الهدف من كل الحياة هو الموت. يعتقد فرويد أن الناس عادةً ما يوجهون غرائز الموت إلى الخارج .2 العدوان ، على سبيل المثال ، ينشأ من غريزة الموت.

في بعض الأحيان ، يمكن توجيه هذه الغرائز نحو **التدمير** إلى الداخل، مما قد يؤدي إلى **إيذاء** النفس أو **الانتحار**.

لدعم نظريته، لاحظ فرويد أن الأشخاص الذين يتعرضون لحدث صادم غالبًا ما يعيدون تمثيل هذه التجربة. من هذا، خلص إلى أن الناس لديهم **رغبة غير واعية** في الموت ولكن غرائز الحياة تخفف إلى حد كبير هذه الرغبة.

بنى فرويد نظريته على عدد من التجارب الرئيسية:

أثناء عمله مع الجنود بعد الحرب العالمية الأولى، لاحظ فرويد أن مرضاه غالبًا ما أعادوا تمثيل تجاربهم القتالية وأشار إلى أن "الأحلام التي تحدث في حالة الصدمة لها خاصية إعادة المريض بشكل متكرر إلى حالة الحادث."

لاحظ فرويد سلوكًا مشابهًا لحفيده **إرنست** البالغ من العمر 18 شهرًا، والذي كان يلعب لعبة تسمى Fort / Da عندما تكون والدته بعيدة. للتعامل مع قلقه، كان الطفل يرمي بكرة مربوطة بخيط في سريره ويقول "فورت" (بمعنى بعيدًا) كلما اختفت البكرة ويقول "دا" (أو هنا) كلما قام بلفها. تساءل فرويد كيف "تكرار هذه التجربة المؤلمة كلعبة يتناسب مع مبدأ اللذة؟"

أخيرًا ، من خلال مرضاه ، لاحظ فرويد أن الكثيرين ممن قاموا بقمع التجارب المؤلمة لديهم ميل إلى "تكرار المادة المكبوتة كتجربة معاصرة" بدلاً من تذكرها على أنها شيء ينتمي إلى الماضي.

من وجهة نظر فرويد ، كان **الإكراه** على **التكرار** "شيئًا يبدو أكثر بدائية ، أكثر بدائية ، أكثر فطرية من مبدأ اللذة الذي يغلبه". واقترح كذلك أن غرائز الموت كانت **امتدادًا** لذلك الإكراه حيث تمتلك جميع الكائنات الحية "ضغطًا تجاه الموت" يتعارض بشكل صارخ مع غريزة البقاء والإنجاب وإشباع الرغبات.

علاوة على ذلك ، **عندما يتم توجيه هذه الطاقة إلى الخارج تجاه الآخرين ، كما أكد فرويد ، يتم التعبير عنها بالعدوان والعنف.**

في حين أن نظريات فرويد ليست بارزة كما كانت من قبل، فإن فهم كيفية تأثير الحفاظ على الذات والميول المدمرة على سلوكك يمكن أن يكون مفيدًا لرفاهيتك. قد تدفعك غرائز الحياة إلى البحث عن علاقات صحية ودعم اجتماعي، وهو أمر ضروري للصحة العاطفية.

من ناحية أخرى، قد تقودك الميول المدمرة إلى الانخراط في أفعال أقل صحة، مثل التصرف بعدوانية أو الانخراط في أعمال محفوفة بالمخاطر. بمجرد أن تتمكن من التعرف على بعض هذه الميول في نفسك ، قد تكون قادرًا بشكل أفضل على تهدئة هذه الدوافع واستبدال السلوكيات السلبية بخيارات أكثر إيجابية.

أمثلة واقعية لعوامل التحليل النفسي في الجريمة:

–غالبًا ما يُعتبر مصدر إلهام للقتلة الخياليين مثل نورمان بيتس (سايكو)، ويمكن إرجاع جرائم جين إلى علاقة متعجرفة مع والدته، وربما مرددًا صدى عقدة أوديب.

–تيد :قاتل متسلسل يتمتع بشخصية كاريزمية يستخدم آليات الدفاع مثل الإنكار والتبرير للانفصال عن جرائمه وحتى اعتبار نفسه بريئًا.

–جيفري دامر :يمكن تحليل جرائمه المتمثلة في أكل لحوم البشر والقتل من خلال عدسة دافع الموت، نظرًا لهوسه بالموت والسيطرة على ضحاياه.

تُعد دراسات الحالة هذه بمثابة أمثلة واقعية لكيفية تطبيق نظريات التحليل النفسي الفرويدي لفهم التعقيدات الكامنة وراء السلوكيات الإجرامية، كما يؤكد هذا الاستكشاف الأعمق على التأثير العميق لنظريات فرويد على فهم السلوك الإجرامي، ويقدم رؤى دقيقة حول الجذور النفسية للانحراف.

نظرية التحليل النفسي:(psycho–analysis)

1.5 مضمون النظرية:

مدرسة التحليل النفسي هي المدرسة التي نشأت تحت تأثير أعمال و أبحاث كل من سيجموند فويرد (1856–1939)، والفرد أدلر (1870–1937)، لكن فرويد كان تأثيره أكثر وضوحا وغزارة، ولهذا سميت "مدرسة التحليل النفسي "أيضا بـ "النظرية الفرويدية."

و بدأ فرويد بالتأكيد على **اللاشعور**، وعلى ما أسماه بالدوافع **اللاشعورية** (القوية) **وتأثيرها** في سلوك الإنسان، وعلى أهمية مرحلة **الطفولة** المبكرة لدى الأفراد، وعلى **الاضطرابات** العاطفية والوجدانية عند الفرد، وعلاقتها بتفسير السلوك الإنساني، السوي منه والمريض على حد سواء. ولكنه ركز على مفعول امتدادات الاضطرابات **اللاشعورية** وتشعباتها في بروز أو ظهور الشخصية المرضية (نفسيا)، أو بروز و ظهور السلوك غير السوي، أو الشاذ أو الإجرامي.

فمن منطلق التركيز على مرحلة الطفولة المبكرة في تشكيل الشخصية الفرودية، يرى فرويد في اللاشعور **والكبت والحرمان**، وعقدة **الذنب** وعقدة **أوديب**، وعقدة الكترا، والشعور **بالنقص**، أحد مظاهر الاضطرابات النفسية التي تؤثر في سلوك الإنسان، وحاول بواسطتها تفسير بعض السلوكيات والانحرافات والاختلالات

العصابية والمرضية، بغض النظر عن الوضع والمحيط الاجتماعي وبغض النظر عن تأثيرات المحيط الإجرامي (تأثير الثقافة الإجرامية).

أقسام الشخصية عند سيغموند فرويد:

حسب فرويد، الشخصية تنطوي أساسا على ثلاثة عناصر أساسية متصارعة ومتناقضة وهي:

الـ"هو" (أو "هي") :IDأي الدوافع القوية لدى الفرد التي تبحث عن إشباع بأية طريقة، أو هي النزعة الأنانية أو مجموع الرغبات الفردية بشكلها البدائي، وحب الذات واللذات والشهوات، غير المسيطر عليها، وهو ما يعني الذات في صورها البدائية، أو الدوافع الفطرية للفرد، أو أصول الدوافع والغرائز التي تتطلب إشباعا فوريا وتمثل اللاشعور، أو العقل الباطن

الأنا العليا :"SUPER EGO" وهي عبارة عن الصور المثالية والفضائل الأخلاقية التي نتعلمها في الصغر، أو التي تلقنها العائلة للأطفال، وهي بمثابة الضمير الحي، والوازع المثالي. وتمثل "ما فوق الشعور" لدى الأفراد (النزعة العلوية لدى الفرد). وهنا يكون الضبط داخليا وليس خارجيا.

الأنا :"ego"وهي الذات في صورها العاقلة (العقل الظاهر) المسيطرة التي تكبح جماح "الأنا العليا" (التي تهدف إلى الإسراف في المثالية، والتعالي عن الملذات والشهوات، وتدفع إلى الزهد والمزيد من الأخلاق المثل العليا) من جهة، والـ "هو/هي"، أو الرغبة في الملذات والشهوات والنزعة الأنانية، وإشباع الرغبات الفردية بدون حدود أو قيود، من جهة أخرى. وتمثل "الأنا" الإدراك والوعي لدى الفرد.

وإذا عجزت " الأنا" عن تسيير وتقويم كل من الـ"هو/هي" و"الأنا العليا"، وقع الإنسان في صراع داخلي، حيث يؤدي هذا **الصراع** في النهاية إلى تغلب إحداهما على الأخرى. فإما أن تتغلب "الأنا العليا" ويتجه الفرد بذلك إلى **الزهد والتعبد**، أي الابتعاد عن الواقع بطريقة أو بأخرى (وهذا في حد ذاته يعتبر سلوكا شاذا)، وإما أن تسيطر على "هو/"هي، أي الذات المفرطة في الرغبات والملذات، وبذلك يتجه الفرد إشباع رغباته وشهواته وملذاته وبدون قيد أو حدود وبكل الطرق، ومنها الطرق الإجرامية .وهكذا يسلك الفرد سلوكيات غير سوية(ومنها السلوكيات الإجرامية)، كي يلبي كل ما تطلبه ذاته الأنانية.

إن عجز "الأنا" عن أداء دورها الرقابي، التوازني، قد يؤدي إلى ظهور السلوكيات الانحرافية في صور وأشكال ودرجات مختلفة، وذلك يرجع إلى الاستعدادات الفردية(تأثير لمبروزو هنا واضح)، والى المحيط الاجتماعي، أو قد يؤدي العجز عن التوفيق بين ."الهو/هي" والأنا العليا"، أي وجود "الأنا" غير المتكيفة

في النفس البشرية، إلى الإحباط، ثم الإحباط الشديد، ومنه إلى السلوك العدواني أو الإجرامي حسب أصحاب النظرية.[12].

3.5تفسير السلوك الإجرامي عند فرويد:

–لقد أكد سيغموند فرويد من خلال نظريته في تفسير الجنوح والانحراف أن الجريمة تعزى إلى اختلال في الجهاز النفسي للشخصية المتمثل في الهو والأنا، والأنا العليا من حيث بناء هذا الجهاز، وقوته وضعفه والعلاقة بين عناصره **الثلاثة** وبين **الواقع** المحيط من ناحية أخرى. إلى جانب ما ينشأ في النفس من صراع ودوافع **مكبوتة** تؤدي إلى أساليب سلوكية **لاشعورية** شاذة للدفاع عن ذات الفرد. وهذا يؤدي إلى السلوك اللاسوي بمختلف صوره (السلوك الذهاني، أو السلوك العصابي، أو السلوك الإجرامي).

–عندما يخفق الأنا في إشباع متطلبات الهو تنمو ميكانيزمات الدفاع، فتستعين **بالتعويض والنكوص والإسقاط والكبت**. وبذلك يلعب اللاشعور دوره في توجيه السلوك الإنساني. وعليه تكون مظاهر الانحراف عبارة عن حيلة دفاعية ضد القلق كمشكلة الهروب، أو بديلا للكسب المشروع كالسرقة، ويتمثل الصراع في وجود الذات (الأنا) محاطا بثلاث قوى: **أولها** الدوافع الفطرية وحاجات الإنسان ورغباته، وهي تتطلب إشباعا يستند إلى اللذة دون اعتبار لمقتضيات الواقع، **وثانيها** هو الضمير الخلقي الذي يفرض حوائل وموانع تحرم تحقيق تلك الدوافع والرغبات استنادا إلى القيم الخلقية والاجتماعية المتمخضة عن الدين أو الحياة في المجتمع.

أما ثالث هذه القوى فهو **متطلبات البيئة** والوضع السائد. وهذا يؤدي إلى حالة من اللاتوازن وعدم الاستقرار النفسي. مما يؤدي بالتالي إلى أن تجد الأنا حلا لها في السلوك غير السوي وبما في ذلك السلوك الإجرامي.

–إن السلوك المنحرف من وجهة نظر التحليل النفسي هو سلوك لاشعوري هدفه التعويض أو الإبدال والتخلص من الصراع الذي يعانيه الفرد من جراء الصراع بين المكونات النفسية الثلاثة للشخصية من ناحية، ومطالب المجتمع وقواعده السلوكية من ناحية أخرى، فمحدودية قدرة الفرد على الكبت الدائم للدوافع (الهو) وغرائزها بصورة كافية يقوي احتمال أن يصبح الفرد منحرفا حتى وان أفلح في كبت دوافعه. ويقوي من ميل الفرد إلى الانحراف استجلابا للعقاب. إن نزعاته الغريزية تكون غير محببة ومحظورة ومستهجنة. فهو ينحرف لكي يعاقب تخفيفا للشعور بالذنب.

–وترى مدرسة التحليل النفسي أن الجانح يلجأ إلى العدوان دفاعا عن قلقه وعدم اطمئنانه، فالإحباط يثير الشعور بالعدوان. و لكن الجانح يعرف أن التعبير عن هذا العدوان سيقابل بعدوان مضاد له، وهو هنا يرى أن خير وسيلة لضبط الخوف والقلق من العدوان المتوقع هي في البدء بهذا العدوان الذي يأخذ صورا وأشكالا عديدة[13]

نقد النظرية:

لا شك في أن هذه النظرية قد نبهت الأذهان إلى جانب هام من جوانب الإنسان، ألا وهو الجانب النفسي، وركزت الأضواء عليه بما ينطوي على إضافة علمية غير مجحودة في ميدان الدراسة الإجرامية، بعد أن كان البحث قاصرا–بصفة رئيسية– على الجانب العضوي فحسب.

إلا أن تفسير النظرية للسلوك الإجرامي لم يكن بمنأى عن كل خطأ. فليس صحيحا من ناحية أولى أن ضعف الضمير أو الأنا العليا يقود دائما إلى طريق الجريمة فمن الناس من يضعف صوت الضمير لديهم ومع ذلك لا يقدمون عليها.

فضلا عن أن انعدام أو ضعف الضمير لا يصلح تفسيرا للجرائم العاطفية التي كثيرا ما يحتل ضمير فاعلها مكانة عليا. ويقود منطق هذه النظرية—من ناحية ثانية إلى وجود تميز الشخص المجرم بالفضاضة وغلظة القلب ونبذ العواطف تماما وهو ما لم تثبت الأبحاث صحته– إذ أثبتت عدم تمتع المجرم بقدر كبير من الذكاء وخضوعه للأوهام حتى بالنسبة لجرائم القتل حيث تبين أن المجرم يقدر على ارتكابها دون انفعال ظاهر. وهكذا أخفقت النظرية النفسية في تقديم برهان علمي يؤكد صحتها.

نظرية الإحساس بالنقص:

أكد أدلر سنة 1937 مؤسس علم النفس الفردي " على ما لدى الإنسان من رغبة **الانتماء** إلى جماعة وحصوله على **مكانة** ومنزلة منها، في هذه الحالة أما أن تنمو لديه رغبة اتجاه **السلطة** والسيطرة أو يصاب بعقدة **نقص** وحينما يصبح الفرد على **دراية بفشله** وقصوره فانه غالبا ما يلجأ إلى **تعويض** شعوره بالنقص تعويضا مبالغا، وعلى ذلك قد يصبح **الانحراف** بالنسبة للفرد وسيلة لجذب الانتباه لذاته وتعويضا لما يعانيه من إحساس بالنقص أو **الدونية**، هذه العقدة إما تنتج عن الشعور بالدونية لوجود إما **نقص** جسماني أو عقلي أو اقتصادي، مما يثير في الفرد ردود أفعال عنيفة عند الفشل في التعويض عنها" كما عمد أدلر إلى تعديل نظريته، فمع تسليمه بإمكان ارتباط السلوك الفردي بعوامل نفسية معينة، فان هذا السلوك كما يعتقد تمليه الأهداف المقصودة منه، فهو يرى أن كل الظواهر النفسية التي من شأنها أن تعين على تفسير

السلوك الفردي يمكن فهمها وإدراكها، إذا نظرنا إليها على أنها تهيئ لتحقيق هدف معين، فالهدف النهائي للسلوك هو تحقيق احترام الذات وقهر الشعور بالنقص، يمكننا القول أن النموذج الغائي الذي يسعى أدلر إيضاحه قد يظهر بطرق مختلفة فحسب رأينا لكل نموذج طموحاته وأحلامه، فقد يظهر في العمل على تحقيق المثل الأعلى الذي يتخذه الفرد لنفسه في الحياة أو للسعي وراء النجاح والعمل والعلم مثلا[16].

ومن جهة أخرى، هناك من علماء الشخصية من ذهبوا إلى حصر سمات الشخصية الإجرامية في اكثر من أربعة مكونات لها، ونذكر منهم كليكلي CLECKLEY الذي رأى أن الشخصية المضادة للمجتمع تتصف بالسمات الآتية (40):

1- ذكاء متوسط أو مرتفع مع جاذبية مرتفعة .
2- عدم وجود اللامعقولية وغيرها من الأعراض الذهانية، كذلك لا يوجد قلق
3- عصابي ، ويشعر صاحبها بالراحة في المواقف التي تقلق الشخص العادي .
4- عدم الإحساس بالمسؤولية في المسائل الصغيرة والكبيرة .
5- عدم وجود الإحساس بالحياة .
6- اتجاه جريء نحو قول الكذب، بحيث لا يهتم المريض عما كانت أكاذيبه
7- تكتشف أم لا .
8- سلوك مضاد للمجتمع مع عدم الشعور بالأسف أو الندم .
9- قدرة ضعيفة على الحكم و يفشل غالبا من التعلم من الخبرة.
10- يفتقد الاستبصار الحقيقي الصادق.
11- قسوة وعدم الإخلاص والعجز عن الحب وإقامة العلاقات .
12- استجابة ضعيفة للعطف والاحترام والاعتبار.
13- ليس له تاريخ في محاولات الانتحار الجادة.
14- حياة جنسية غير تقليدية وغير مضبوطة أو محكومة.
15- يفشل في وضع خطة لحياته مع الفشل في الحياة المنظمة فيما عدا انه يتبع نمطا مستمرا من انهزام الذات .
16- لا تظهر السمات المضادة للمجتمع لأول مرة بعد تجاوز سن العشرين.

ميكانيزمات الدفاع النفسي واللاوعي عند فرويد

لقد سبق وتحدثنا عن نظرية فرويد من مدرسة التحليل النفسي, وعن أهم مفهوم وهو الوعي واللاوعي... ولكي أختصر عليك فإن فرويد قسم العقل لواع ولاواع, حيث أن الوعي هو ما تدركه وتفعله بإدراكك التام في حين أن اللاوعي يحركك في الخفاء دون أن تدري, وقد أعطينا بعض الأمثلة في الموضوع السابق عن أنك قد تشعر بالرغبة في النوم كلما فتحت كتابا لتراجع للامتحان أو أن تشعر بالتوعك كلما أردت السفر لمكان لا ترغب فيه.

إلا أن مهمة اللاوعي لا تقتصر فقط على حمايتك من الأفعال والأنشطة المزعجة بل حتى الأفكار المزعجة. فقد سبق وتحدثنا عن الهو والأنا الأعلى والأنا, وقلنا أن الهو لاواع في حين أن لكل من الأنا والأنا الأعلى جزءً واعيا وآخر لاواعيا, والآن سنتحدث عن القسم اللاواعي لهذا الأنا.

الأنا يعمل أحيانا على الدفاع عن نفسه بطريقة لاواعية, وقد عدد فرويد ميكانيزمات الدفاع النفسي وأتى بعده من أضاف ميكانيزمات أخرى, لكنني هنا سأقتصر فقط على سبعة آليات لأنها كثيرة جدا... بشكل عام فإنه بناء على هذه السبعة ستتمكن من اكتشاف بقية الآليات بمفردك لأنك ستفهم المبدأ.

1- التبرير:

التبرير أو بترجمة أدق العقلنة, وهي ميكانيزم من ميكانيزمات الدفاع النفسي التي ينهجها الشخص لتبرير فعل غير لائق أو فشل, ولعلك تعرف القصة الخرافية للثعلب الذي لم يتمكن من الوصول للعنب أعلى الشجرة فقال عنه أنه حامض كي يشعر بالارتياح.

أمثلة التبرير كثيرة, كأن يرسب الطالب في الامتحان فيبرر رسوبه بأن الأستاذ ظلمه وأن الوقت لم يسعفه ويبدأ بإلقاء اللائمة على الظروف الغير موالمة...هو إذن يبرر لنفسه كي لا يشعر بالذنب أو أن ما حدث له أمر سيء.

مثال آخر لرجل تتزوج حبيبته فيقول بأنها كانت فتاة سيئة وأن زواجها أمر جيد بالنسبة له, كي لا يشعر بالحزن والضيق.

2- الإسقاط:

هو أن يحمل الشخص أفكارا أو مشاعر يعتبرها في قرارته خاطئة فلكي يحمي نفسه يقوم بإسقاطها على الآخرين, ولعلك سمعت بالمثل القائل "ودّت البغي لو أن كل نساء العالم بغايا", فالمرأة ذات الأخلاق السيئة

قد تتهم كل امرأة تقابلها بأنها تدّعي العفة وبأنها تمارس الرذيلة في الخفاء, أو كرجل يخون زوجته فيتسرب إلى نفسه الشك في سلوك زوجته ويبدأ التحرى في كل صغيرة وكبيرة على غير عادته, هو إذن أسقط فعله الذي يعتبره لاأخلاقيا عليها.

-3التسامي:

أي أن يحول الشخص الأفكار السيئة والمشاعر الغير مرغوب فيها كالعنف أو الخوف أو الحزن أو الرغبة في القتل إلى أفعال تلقى قبولا لدى المجتمع كأن يتحول الشخص العنيف لملاكم أو أن يتحول صاحب نزوات القتل لقناص, أو أن يلجأ المكتئب للكتابة أو الرسم فيعبر عن مخاوفه وحزنه على الورق. إذن التسامي هو آلية دفاعية قد تدفع المرء لاستبدال السلبي بالايجابي ليلقى القبول.

-4رد الفعل:

هي آلية دفاع نفسية يلجأ لها الشخص الذي يعاني من تهديد نفسي حقيقي بسبب فكرة أو رغبة تخالف معتقداته, فمثلا الشخص الذي يحب النساء بشدة ولكنه غير قادر على الزواج وقيمه ومبادؤه لا تسمح له بارتكاب الفاحشة فإنه قد يطور كرها حادا اتجاه النساء, فكثيرا ما تقابل شابا يعيب النساء ويحتقرهن ويدعي أنه عازف عن الزواج بإرادته وينصح الجميع بالعزوف عن الزواج مثله, وما إن يحصل على وظيفة وتتيسر أموره يهرع ليتزوج أول امرأة يقابلها في طريقه...أليس كذلك؟؟ هذا ما حدث مع أحد أصدقائي -_- أذكر اسمك يا صديقي من أجل العلم معليش؟ وفي واقع الأمر فإن الأطفال الذين يقتربون من سن البلوغ قد يشعرون بالكره والتقزز من الجنس الآخر كآلية دفاع رد الفعل, بسبب تجربتهم لمشاعر لم يخبروها من قبل ألا وهي الانجذاب الجنسي.... الأمثلة متعددة.

-5الإزاحة:

هي آلية دفاعية يقوم فيها الشخص بإزاحة ما يزعجه وبدل صبه على مصدر الازعاج يستبدله بشخص أو شيء آخر, كمثال الموظف بالإدارة الذي يدخل عليه مديره يهينه في مكتبه دون أن تكن له المقدرة على الرد فيلجأ هذا الموظف لإهانة المواطنين بمكتبه, أو ذلك الشخص الذي قد يغلق على نفسه الباب ويبدأ بركل الوسائد والخزانات لأنه لا يستطيع ركل من يتنمر عليه بالمدرسة..أحيانا تتمثل الإزاحة في الأحلام أيضا, فقد يحلم الشخص بأنه يمزق حاجيات أخيه الذي يزعجه.

-6الإنكار:

أظن أن الآلية مفهومة من اسمها, فهي حيلة نفسية يلجأ إليها الشخص الذي لا يريد أن يعترف بوجود مشكل ما في حياته, فهو قد يعاني من الإدمان وينكر أنه مدمن بل ويقنع نفسه على أنه قادر على الإقلاع

عن ما يتعاطاه متى شاء, وهذه آلية دفاعية موجودة بكثرة لدى المدمنين, أيضا المرأة التي تتعرض للتعنيف من طرف زوجها قد تنكر أنها تعيش حياة تعيسة وتقنع نفسها أن كل شيء على ما يرام. آلية الإنكار آلية جد خطيرة فهي تحول دون القدرة على إقناع الشخص بإصلاح الخلل الذي يعاني منه. **طبعا** لا يكون الإنكار دائما مرتبطا بمشاكل كبرى فأحيانا يتمثل الإنكار في أمور يومية بسيطة.

-7النكوص:

أو التقهقر, آلية دفاعية تتمثل في أن يعود الشخص القهقري لمرحلة سابقة من مراحله العمرية للشعور بالارتياح, وقد يلجأ إليها من تعرض لصدمة نفسية أو توتر شديد, فترى الشخص بدأ يتصرف تصرفا طفوليا كان يتصرفه بالماضي كأن يمتص إبهامه أو يلعب بالدمى أو أن يرتدي ملابس لا تناسب سنه ويتصرف تصرفات طفولية. حسب فرويد فإن لجوء الشخص لآلية النكوص يبث في نفسه الشعور بالطمأنينة والأمان, وقد يأخذ النكوص شكلا متطرفا ينذر بمشكلة نفسية تحتاج للتدخل..

حسنا، الآن وقد أدركت بعضا من آليات الدفاع النفسي أظن أن الصورة اتضحت في ذهنك. وكالعادة لابد من الإشارة إلى أنه ليس كل سلوك يسلكه الشخص قد يفسر على أنه آلية دفاعية فقد يعتقد الشخص فعلا أن الجميع من حوله سيء دون أن يكون هو ذاته سيئا, أو أن يشك الرجل في سلوك زوجته دون أن يكون هو ذاته خائنا, إذ أن الحكم على ما إذا كان الشخص يلجأ لآلية الدفاع مرتبط بالشخص ذاته ولاوعيه والذي أحيانا يصعب الوصول إليه, فالشخص ذاته غير واع بأنه قد لجأ لآلية من آليات الدفاع النفسي...هذا كي لا تحكم على الآخرين بأنهم يلجؤون لآليات الدفاع وأنت لم تحط بالموضوع من كل جوانبه.

حاول الآن أن تعرف ما إذا كنت قد لجأت لآلية من آليات الدفاع النفسي, وستكون قد لجأت إليها طبعا ولكنك غير واع بذلك, فكر في الموضوع بتجرد وأنظر أي آلية من هذه الآليات السبع أدركت أنك لجأت إليها في مرة من المرات.

تطبيقات نظرية التحليل النفسي

تعتمد تطبيقات نظرية التحليل النفسي على اكتشاف الأفكار غير المقبولة، التي استقرت في اللاوعي، وتحريرها من القمع، أي تعتمد على تحويل اللاوعي إلى وعي، ونذكر من تطبيقات نظرية التحليل النفسي ما يلي:

التداعي الحر :تعد جلسات التداعي الحر نوع من العلاج النفسي، تُعقد الجلسات أربع أو خمس مرات حسب النموذج الكلاسيكي لنظرية التحليل النفسي، ويجلس الطبيب بعيدًا عن المريض، ويُطلب من المريض أن يشارك أفكاره، وكل ما يتبادر إلى ذهنه، دون تدخل من الطبيب، وتعتمد على فحص العالم الداخلي للمريض (اللاوعي) حسب نظرية التحليل النفسي لفرويد؛ إذ يعمل الطبيب كشاشة فارغة أمام المريض، ينقل إليه تجاربه النفسية، والاجتماعية، ويراقبه الطبيب، كما يتجنب إصدار ردود أفعال، أو إظهار تأثر شخصي تجاهه.
زعم فرويد أن جلسات التداعي الحر أعطت فرصة للمريض لفحص أفكاره.

استقصاء التحول :عندما يُظهر المريض مشاعر حول شخص آخر، لا سيما شخص ما واجهه في الطفولة، وقد يكون التحول سلبي، أو إيجابي، أو جنسي.

مراقبة دفاعات المريض، وانفعالاته :التي يجهلها المريض.

تفسير الأحلام :كان فرويد يؤمن بأهمية الأحلام، كما اعتقد أن تفسير أحلام الشخص يعطي نظرة قيمة عن اللاوعي. في عام 1900، نشر فرويد كتابه عن تفسير الأحلام، وافترض فيه أن الأحلام هي المتنفس؛ لتحقيق الرغبات المكبوتة، كما تسمح الأحلام للأشخاص بالتعامل مع هذه الأفكار في موقف خال من الوعي، وقيود الواقع.

خاتمة:

في النهاية باستطاعتنا القول إن مدرسة التحليل النفسي ما هي إلا محاولة لتفسير السلوك أو تطور الشخصية الفردية بصورة عامة، أما محاولتها تفسير الجريمة و الإجرام، فإنها لم تنجح باعتقادنا في وضع نماذج تفسيرية صالحة ومقنعة. فهي أحيانا بعيدة عن الواقع وغير صالحة لتفسير بعض أنماط السلوك الإجرامي، وأحيانا أخرى تقدم تفسيرات عامة غير مقنعة وغير مناسبة في الزمان والمكان.

أسئلة للتمعن والتفكير:

1. ماهو تأثير علم النفس التحليلي على السياسات الجنائية اليوم؟
2. إذا كانت النظريات النفسية تعاني من مشاكل في الصلاحية، فلماذا يطلب من الأطباء النفسيين في كثير من الأحيان الشهادة في المحكمة؟ إذا كانت النظريات ذاتية للغاية، فكيف يمكننا التأكد من ن شخص مجرم مجنون حقا؟
3. هل الشخصية صفة فطرية أم ظاهرة متطورة اجتماعيا؟ بغض النظر عن إجابتك ، كيف يمكنك تغيير شخصية شخص آخر؟ يمكن هل تغير شخصيتك؟
4. كيف يمكن استخدام مفهومي غرائز الحياة والموت في تفسير السلوك الانحراف؟
5. هل اشباع الغرائز بمختلف أنواعها يساهم في تحقيق الصحة النفسية للفرد؟